

واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة، فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما، وعلى طاعة ربهما عز وجل، ومعاوية لم يطلب الملك وأبهته للاستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك، وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا الواهي، فمن جرت أفعاله عليها، فهو خليفة النبي ﷺ وآله في المسلمين، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمي خليفة بالمجاز.

الأمر الثاني: في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية، فجعل مع أهل نسبه، والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب، فجعلوا في نمط واحد، وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحق بهم قريباً في الفضل، والله يحشرنا في زميرهم ويرحمنا بالاعتداء بهم. وقد أفردنا نحن لبني أمية وخلفائهم وأخبار دولتهم في الشام والأندلس كتاباً نفيساً سميناه (الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية في الشرق والأندلس).